الاثنين 1/4/2013 الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

سلسلة التفسير

سورة الكهف (6)

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة، وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا أكرم الأكرمين. أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه. نسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك وبعد:

نحن في تفسير آيات من سورة الكهف.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا * إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا * فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا * ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا * نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى * وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا * هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا * وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا﴾ [الكهف: 9-16].

كل قصة في القرآن الكريم حقيقة واقعة ساقها القرآن الكريم بأسلوب القصة والحوار والهدف أن نفيد من هذه القصة غايتها وأن نعمل بمقصودها؛ لأن القرآن الكريم هو كتاب هداية ﴿الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 1-2] فجاءت هذه القصص من أجل أن تجذب السامع وتربيه ليعمل بمقصود هذه القصة.

مقصود قصة أهل الكهف أنهم شباب تعرضوا للاختبار فكانوا بين خيارين إما سلامة الأبدان مع تلف الأديان أو سلامة الدين مع تلف البدن.

كان أهل الكهف في زمن ملك يَعبد مع قومه الأوثان فلما آمن هؤلاء الشباب بالله تعالى وحده وهجروا عبادة الأوثان ونمى خبرهم استدعاهم الملك وسألهم عن حالهم؟ فأقروا بأنهم يعبدون الله وحده ولا يعبدون الأوثان والأصنام، فخيرهم إما أن ترجعوا إلى ديني وتَسْلَموا وإما أن تبقوا على ما أنتم عليه ويكون مصيركم القتل، فاختاروا أن يسلم دينهم ولو على حساب أبدانهم ومصالحهم.

﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ ﴾.

تشاور الفتية مع بعضهم البعض ثم قرروا أن يخرجوا من هذه القرية الظالم أهلها فأرشدهم ربهم إلى الكهف وحدثت تلك الآية بأن ناموا ثلاثمائة سنة.

فالمقصود من ذلك أننا معرضون للامتحان والاختبار ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك: 2].

أحياناً تُختبر بالعلاقة الحرام مع النساء وأنت شاب لست متزوجاً ولا يظهر في الأفق بارقة أمل بموعد زواجك.

أحياناً تختبر بالمال بين أن تأخذه من طريق الحلال أو الحرام فماذا ستفعل؟

أحياناً امرأة التزامها بالشريعة يجعل من حولها يرميها بالتخلف والسخف والقبح وبعدم الحداثة والتطور، ولها خيار آخر بأن تتخلى وتتجرد عن دينها في ظاهرها أو باطنها ليقال لها: أنت محترمة وصاحبة ذوق.

فأصحاب الكهف اختبروا اختباراً أصعب من كل هذه الخيارات وهو الخيار بين الحياة أو الموت، والذي يتوعدهم بذلك هو الملك وما هم إلا فتية أعمارهم ما بين 15-17 سنة فاختار الفتية الفرار إلى الله تعالى، حتى لو كان الطرف الآخر هو الملك.

هذا هو المقصود من قصة أهل الكهف، لكن لما جرى هذا الاختبار كانت المعونة نازلة عليهم ففازوا وسقط الملك، وحتى يومنا هذا فنحن نسمع بقصتهم.

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة فقالوا لهم: سلوهم عن محمد وصفوا لهم صفته وأخبروهم بقوله فإنهم أهل الكتاب الأول وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء، فخرجا حتى أتيا المدينة فسألوا أحبار اليهود

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفوا لهم أمره وبعض قوله وقالا: إنكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا؟ قال: فقالوا لهم سلوه عن ثلاث نأمركم بهن فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل وإلا فرجل متقول فتروا فيه رأيكم: سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم فإنهم قد كان لهم حديث عجيب؟ وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه وسلوه عن الروح ما هو؟ فإن أخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه وإن لم يخبركم فإنه رجل متقول فاصنعوا في أمره ما بدا لكم فأقبل النضر وعقبة حتى قدما على قريش فقالا: يا معشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أمور فأخبروهم بها فجاؤوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا محمد أخبرنا فسألوه عما أمروهم به فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أُخْبِرُكُمْ غَدَاً عَمَّا سَأَلْتُمْ عَنْهُ)) ولم يستثن فانصرفوا عنه ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة لا يحدث الله له في ذلك وحياً ولا يأتيه جبرائيل عليه السلام حتى أرجف أهل مكة وقالوا: وعدنا محمد غداً واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء عما سألناه عنه وحتى أحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث الوحي عنه وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة ثم جاءه جبرائيل عليه السلام من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطواف وقول الله عز وجل: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [تفسير ابن كثير].

فإذا كنت مع الله فستكون أنت الفائز ولو كنت الأضعف والأقل.

سيأتي الامتحان على كل واحد فينا وكل واحد منا لم يختبر إلى الآن فليستعد؛ لأن الاختبار سيأتيه فإذا نجحت فسيأتيك اختبار أصعب؛ لأن الله يريد أن يرقيك.

هذه الاختبارات تسمى بعلوم الإدارة (السلم الوظيفي) فربما يدخل الموظف إلى شركة ورتبته الوظيفية من الدرجة الخامسة، فينمي قدراته فيرتفع للدرجة الرابعة ثم الثالثة حتى يكون من الدرجة الأولى وربما يصبح المدير للشركة أو المالك لها.

يستحيل أن ترفع من الصف الأول إلى الثاني حتى تختبر.

لا يوجد شيء اسمه انتهى العلم لكن يوجد شيء اسمه التعلم مدى الحياة.

على أحدنا أن لا يتألم من الامتحان؛ لأن الامتحان يأتي بعده مكافأة، وكلما صعب الامتحان كانت الدرجة التي تنالها أعلى.

إن كنت حاملاً شهادة من جامعة ذات مكانة عالية فلك فخر كبير، فكيف إن كانت هذه الشهادة مكتوبة في القرآن الكريم؟!

فالله ذكر لنا هذه القصة لتكون لك قدوة عند الامتحان بأن تعمل مثل ما عمل هؤلاء القوم فترفع درجتك كما رفعت درجتك.

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ .

هناك علم في التفسير اسمه الإسرائيليات وهي قصص وردت في التوراة والإنجيل فكان اليهود والنصارى يحدثون المشركين والمسلمين ببعض هذه القصص فربما زادوا وربما أنقصوا فهل يجوز لنا أن نأخذ بهذه القصص؟

قال العلماء: **الإسرائيليات ثلاثة أنواع:**

1- **قصص توافق القرآن الكريم**: فنأخذ بها بلا ريب، كقصص تحدث عن سيدنا موسى وأهل الكهف بعموميتها فنأخذ بها ونصدقها.

2- **قصص تخالف القرآن الكريم**: كقصص تتحدث عن سيدنا داود بأنه شرب الخمر ووقع بالفاحشة ببناته فلا نأخذ بها أبداً؛ لأنها تخالف القرآن الكريم والسنة بعصمة الأنبياء.

3- **إسرائيليات لا توافق ولا تخالف:**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: **كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَقْرَؤُونَ التَّوْرَاةَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ وَيُفَسِّرُونَهَا بِالْعَرَبِيَّةِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ وَقُولُوا: آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا))** [البخاري].

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **((بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ))**.

[البخاري]

فمن الأخبار التي لا توافق ولا تخالف: ذكر أسماء أصحاب الكهف فإن أسماءهم لا تزيد في القصة شيئاً ولا تنقص منها شيئاً، لكن لا أستطيع أن أكذبهم أو أصدقهم.

﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ .

سأقرأ عليكم بعض الأرقام والأسماء:

أ. **سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه:** أسلم وعمره ثمان وثلاثون سنة.

عَنْ عُمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: **لَوْ وُزِنَ إيمانُ أبي بكرٍ وإيمانُ الناسِ لرجحَ إيمانُ أبي بكرٍ.**

[البيهقي وإسحق بن راهويه وابن عدي]

ب. **سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه:** أسلم وعمره ست وعشرون سنة، هو فاروق الإسلام الذي أخاف كسرى وقيصر.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((**اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلاَمَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ**))، **قَالَ: وَكَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَيْهِ عُمَرُ** [الترمذي].

ت. **سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه:** أسلم وعمره عشرون سنة، رجل تستحي منه الملائكة، زوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم بابنته ولما ماتت زوجه الثانية ولقب لذلك بذي النورين.

ث. **سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه:** أسلم وعمره سبع عشرة سنة هو قائد معركة القادسية فاتح بلاد فارس.

ج. **سيدنا صهيب الرومي رضي الله عنه:** أسلم وعمره تسع عشرة سنة.

ح. **سيدنا أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه:** أسلم وعمره سبع وعشرون سنة.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((**إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا وَإِنَّ أَمِينَنَا أَيَّتُهَا الْأُمَّةُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ**)) [البخاري].

خ. **سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه:** أسلم وله من العمر ثلاثون سنة، اهتز لموته عرش الرحمن وكان عمره ست وثلاثون سنة.

د. **السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم:** توفيت وعمرها خمس وعشرون سنة.

عن عروة قال: قالت عائشة لفاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم: **ألا أبشرك أني سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول:** ((**سيدات نساء أهل الجنة أربع:**

مـريم بنت عمـران، و فاطمـة بنت رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم، وخديجة بنت خويلـد وآسية)) [الحاكم].

ذ. **سيدنا أسامة بن زيد رضي الله عنه:** أَمَّرَه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمره ثمان عشرة سنة.

لذلك يا شباب يدلنا هذا الكلام على أن الإسلام يريد من الإنسان أن يُقْبِلَ على الله وهو فتى، فكما أن الشباب مفتوح عليهم كل الفتن فلهم مقابل صبرهم على الامتحانات أعلى الدرجات.

عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ ... وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ**)) [البخاري].

ما الذي يجعلنا بعزيمة هؤلاء الشباب؟

1- **الإكثار من ذكر الله تعالى.**

2- **صحبة الصالحين.**

أنصح كل واحد منكم أن يتخذ أصدقاء خير منه في إقباله على الله فإذا وجدتهم فصاحبهم وزاحمهم ونافسهم.

كان سيدنا عبد الله بن عباس يزاحم صحابة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعمره ثلاث عشرة سنة، فوصل مع الوقت للقب حبر هذه الأمة؛ لأنه زاحم الكبار.

من زاحم الكبار صار كبيراً، ومن زاحم الصغار صار صغيراً.

يقال من الطرف: يقل عقل معلمو الأطفال مع كثرة مجالستهم لهم.

لذلك يقولون لهذا المعلم الذي يجالس الصغار: لا بد أن تجالس الكبار لفترات طويلة.

إذا كان أصحابك من الدُّون فسيهبطون بك إلى الأسفل، وإن كانوا من أهل عليين فسيرتفعون بك إلى الأعلى.

﴿ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ .

ندعو في الفاتحة بقولنا: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ فتجد إنساناً يشرب المسكرات ويرتكب المحرمات ويأكل مما لا يحل له، فإذا سألته لم تفعل ذلك؟ قال لك: الله لم يهدني بعد.

كيف لله أن يهديك ولم تقدم مقدمات التوبة؟!

﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ ، ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾ [مريم: 86].

3- اتخاذ المعلم.

4- حضور مجالس العلم.

فإذا فعلت ذلك فإن الله سيزيدك هداية، وحباً بالصالحين، وشَغَفاً بالقرآن، والصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وفِعلاً للخير، وبراً للوالدين، وفتوحاً في طريق الخيرات؛ لأنك تسير في الطريق الصحيح.

أما من ذهب بالاتجاه الخطأ فالله قال: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: 10]. فتراه يصاحب الأشرار، ولا يحضر مجالس الخير، ولا يذكر الله قليلاً ولا كثيراً، ومجالسه مجالس فُحْشٍ فالله يزيده على ما هو عليه؛ لأنه اتجه بالاتجاه الخطأ ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: 5].

قال المفسرون في قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أي يا رب زدنا هداية على الصراط المستقيم.

الهداية والقرب من الله عز وجل باب واسع مهما اجتهدت فيه فسيبقى أمامك درجات عالية ما دمت حياً.

﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ .

إذا جاءتك المشقات ربط الله على قلبك فنجدك رابط الجأش قوياً، ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: 23].

تجد شاباً عند الفتنة نجح وصبر لأن هذا الشاب سائر بطريق الهداية، وذاك سقط لأنه سائر بطريق الضلال.

﴿إِذْ قَامُوا فَقَالُوا﴾ .

قال أهل التفسير: قاموا فقالوا أمام الملك وأقوامهم: ﴿رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا * هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ . شَطَطًا: أي ظلماً وزوراً وفسقاً وخطأً.

﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا ﴾ .

عندما فعلوا هذا العمل بأن اعتزلوهم ألهمهم الله أن يا أهل الكهف آووا إلى الكهف فسيعينكم على الثبات على طريق الخير.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين.